

يسوع، كريستوس أو «المبدأ المسيحاني»، والمسيحية

مجموعة بلافاتسكي – لندن

الجزء الثاني

3. متى عاش يسوع، وما الذي يُعرف عنه حقاً؟

في حوارها المطول مع الأب روكا، وهو كاهن فرنسي في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، كتبت "ه. ب. ب." بما يلي:

لم يكن يسوع المسيح، أي "الإنسان-الإله" عند المسيحيين، والذي استُمدت صورته من "الأفاتارات" (التجسّدات الإلهية) في مختلف الثقافات، كـ "كريشنا" في الهند أو "حورس" في مصر- شخصيةً تاريخيةً قط. بل هو تجسيدٌ مؤلّف للنموذج المُجَلَّل بالمجد لكبار الكهنة (الهيروфанث)¹ في المعابد؛ وقصته، كما وردت في العهد الجديد، ليست سوى مجازٍ-مجازٍ يحوي بلا شك حقائق باطنية عميقة، لكنه يظل مجازاً. وتُفسَّر هذه القصة باستخدام "المفاتيح السبعة"، تماماً كما هو الحال مع أسفار التوراة الخمسة (البننتاتوك)²... إن الأسطورة التي

¹ Hierophants.

² Pentateuch.

أتحدث عنها تستند -كما أوضحت مراراً وتكراراً في كتاباتي وملاحظاتى- إلى وجود شخصية تُدعى "يهوشوع" (الاسم الذي اشتق منه اسم "يسوع")، وُلد في "لود" أو "لدة" قبل نحو 120 عاماً من العصر الحديث [أي حوالي عام 120 قبل الميلاد]. وإذا ما أنكرت هذه الحقيقة -وهو أمر لا يسعنى الاعتراض عليه- فلا مفر من اعتبار بطل دراما "الجلجثة" مجرد أسطورة محضة. وفي الواقع، ورغم كل الأبحاث المضنية التي أجريت على مدى قرون طويلة، إذا استبعدنا شهادات "الإنجيليين" -وهم أشخاص مجهولون لم تُعرف هويتهم قط- وشهادات آباء الكنيسة -الذين كانوا متعصبين ذوي مصلحة-، فإننا لا نجد في التاريخ، ولا في التقاليد غير الدينية، ولا في الوثائق الرسمية، ولا حتى في شهادات المعاصرين لتلك "الدراما" المزعومة، أي دليلٍ جديٍّ واحدٍ على الوجود التاريخي الواقعي، ليس فقط لـ "الإنسان-الإله"، بل حتى للشخص الذي يُدعى "يسوع الناصري" في الفترة ما بين العام الأول والعام الثالث والثلاثين للميلاد³. كل شيء يغرق في الظلام والصمت. ففيلون اليهودي⁴ -الذي وُلد قبل العصر المسيحي، وتوفي بعد فترة طويلة من العام الذي شهد - وفقاً لرينان- نشوء "هلوسة" لدى امرأة هستيرية تُدعى مريم المجدلية، مما منح العالم إلهاً جديداً- قام بعدة رحلات إلى

أنوه بأن بلافاتسكي لا تنكر وجود المسيح (في الجزء الأول من المقالة ³ تحدثت عن تمثال للمسيح) بل تنفي وجوده بين عام صفر و ثلاثة وثلاثين حسب التقويم الزمني. المترجم.

⁴ Philo Judaeus.

أورشليم (القدس) خلال تلك الفترة التي امتدت لأكثر من أربعين عاماً. وقد ذهب إلى هناك ليدون تاريخ الطوائف الدينية التي كانت موجودة في فلسطين في عصره. لم يكن هناك كاتب أكثر دقة منه في وصفه، ولا أكثر حرصاً على ألا يفوته شيء؛ فلم تغب عنه أي جماعة أو رابطة، مهما كانت ضئيلة الشأن. فلماذا إذن لم يأت على ذكر "الناصريين"؟ ولماذا لم يشر -ولو تلميحاً- إلى الرسل، أو إلى "الجليلي الإلهي"، أو إلى حادثة الصلب؟ الإجابة بسيطة: لأن سيرة يسوع قد اختلقت بعد انقضاء القرن الأول، ولم يكن في أورشليم من هو أكثر اطلاعاً على هذا الموضوع من فيلون نفسه. يكفي أن نقرأ تفاصيل الخلاف بين إيريناوس والغنوصيين (العرفانيين) في القرن الثاني لنتيقن من ذلك. فعندما أشار بطليموس (عام 180 م) إلى أن يسوع -وفقاً للروايات المتداولة- لم يبشر إلا لمدة عام واحد، وأنه كان أصغر من أن يتمكن من تعليم أي شيء ذي أهمية، ثارت ثائرة إيريناوس بشدة، مؤكداً أن يسوع بشر لأكثر من عشر سنوات، بل ربما عشرين عاماً! وذكر أن "التقليد" وحده هو الذي يشير إلى فترة العشر سنوات (في كتابه "ضد الهرطقات"، المجلد الثاني، الفصل 22، الفقرات 4-5). وفي موضع آخر، يذهب إيريناوس إلى القول بأن يسوع توفي في سن الخمسين أو أكثر!! والآن، إذا كان أحد آباء الكنيسة -في وقت مبكر يعود إلى عام 180 م- يضطر للاستناد إلى "التقليد"، في ظل غياب اليقين حول أي شيء، ومع عدم إيلاء أهمية كبيرة للأناجيل -أو ما يُعرف بـ

"اللوغيا"⁵ (الأقوال المنسوبة ليسوع) التي وُجد منها أكثر من ستين نصاً. فأين يكمن التاريخ في كل هذا؟ إن حصيلة القرون الأولى ليست سوى مزيج من الارتباك، والأكاذيب، والخداع، والتزوير. فقد قام يوسابيوس القيصري -وهو سيد المزورين- بإقحام الأسطر الستة عشر الشهيرة التي تشير إلى يسوع في إحدى مخطوطات يوسيفوس فلافيوس؛ وذلك بهدف الرد على الغنوصيين الذين أنكروا وجود شخصية حقيقية حملت اسم يسوع. بل وأكثر من ذلك؛ فقد نسب إلى يوسيفوس -وهو يهودي متعصب ظل متمسكاً بمعتقداته حتى وفاته- فكرة مفادها أنه ربما لا يصح وصف يسوع بأنه "إنسان"، لأنه كان "مسيح الرب" (أي الممسوح من قبل الرب)!! ("الثيوصوفيا: بعض الرؤى النادرة"، ص 83-85).

كما ذكرت "ه. ب. ب." آنفاً، فإن الأسطورة أو الحكاية المسيحية حول يسوع تستند إلى «وجود شخصية تُدعى يهوشوع (الذي اشتق منه اسم يسوع)، وُلد في لود أو ليذا قبل نحو 120 عاماً من العصر الحديث». وكان يُطلق على هذا الشخص أيضاً اسم «يشوع بن بانثيرا»، وهو مذكور في النص اليهودي المعروف بـ "سفر تولدوت يشو"⁶ والذي يُترجم إلى «كتاب حياة يسوع» أو «كتاب تاريخ يسوع».

⁵ Logia.

⁶ Sefer Toledot Yeshu.

من المهم توضيح أنه عندما تقول: "إن يسوع المسيح -أي الإنسان- الإله" في المعتقد المسيحي، والذي استُمدت صورته من "الأفاتارات" (التجسّدات الإلهية) في ثقافات شتى، كـ "كريشنا" في الهند أو "حورس" في مصر- لم يكن شخصية تاريخية قط"، فهي لا تقصد بذلك نفي وجود يسوع كشخصية تاريخية على الإطلاق (وهو ما يمثل جوهر "نظرية أسطورة المسيح" التي ظهرت في القرن الثامن عشر)، بل تعني أن التصوير المسيحي والكتابي (في الكتاب المقدس) ليسوع وحياته -وهو تصوير ذو طابع ديني ولاهوتي بحت- لا ينبغي اعتباره حقيقة واقعية، أو وصفاً دقيقاً ليسوع التاريخي الفعلي.

أجمع جميع المعلقين على أن حدوث مذبة فعلية للأطفال الصغار لم يذكر في أي مصدر تاريخي؛ وعلاوة على ذلك، فإن واقعة كهذه كانت ستشكل صفحة دامية في السجلات الرومانية، بحيث كان لا بد أن يوثقها كُتّاب ذلك العصر. فقد كان هيرودس نفسه خاضعاً للقانون الروماني، ولا شك أنه كان سيدفع حياته ثمناً لارتكاب جريمة شنيعة كهذه. ملاحظة: يبدو أن "ه. ب. ب." تفترض أن الأناجيل تصف مذبة جماعية لعدد كبير من الرضع، لكن الأمر ليس كذلك في الواقع؛ فكل ما تذكره الأناجيل هو أن هيرودس أمر بقتل جميع الذكور الذين يبلغون من العمر عامين فما دون في قرية بيت لحم. وتخبرنا المصادر التاريخية أن بيت لحم كانت قرية صغيرة للغاية، لذا فإن عدد الأطفال الذين تنطبق عليهم شروط مرسومه لن يتجاوز العشرين طفلاً على أقصى تقدير، بل يرجح الباحثون المعاصرون وعلماء الديموغرافيا أن العدد كان عشرة أطفال

أو أقل. وعليه، لا يمكن توقع تسجيل واقعة كهذه في السجلات التاريخية، حتى لو حدثت تماماً كما ورد في الأناجيل، ومع ذلك، فإذا كنا لا نجد أدنى أثر لهذه الرواية في التاريخ، فإننا نجد في المقابل، ضمن الشكاوى الرسمية للمجمع اليهودي (السيناغوغ)⁷، أدلة وافرة على اضطهاد "المُستَثيرين" (أو المُنْضمين إلى حلقات سرية/باطنية). كما يؤكد التلمود صحة ذلك أيضاً.

وردت الرواية اليهودية لميلاد يسوع في كتاب "سفر تولدوت يشو"⁸ بالكلمات التالية:

بعد أن أصبحت مريم أمّاً لابنٍ سُمّي "يهوشوع"، ومع نمو الصبي، عهدت به إلى رعاية الحاخام "إلحانيا"⁹؛ فتقدم الطفل في المعرفة، إذ كان يتمتع بذكاء وفطنة وافرين.

واصل الحاخام يهوشوع بن فراحيا تعليم يهوشوع (يسوع) بعد إلحانيا، وأدخله في المعرفة السرية؛ ولكن عندما أصدر الملك ينيوس أوامر بقتل جميع من تلقوا هذه المعرفة السرية، فرّ يهوشوع بن فراحيا إلى الإسكندرية في مصر، مصطحباً معه الصبي.

وتتابع القصة أنه أثناء وجودهما في الإسكندرية، استقبلا في منزل سيدة ثرية وعالمة (تجسد رمزياً شخصية مصر). وقد

⁷ Synagogue.

⁸ (Sepher-Toldos Jeshu).

⁹ Rabbi Elhanan.

وجد يسوع الشاب أن هذه السيدة جميلة، رغم وجود "عيب في عينيها"، وعبر عن ذلك لمعلمه. وحين سمع المعلم هذا، استشاط غضباً لأن تلميذه وجد شيئاً حسناً في "أرض العبودية"، فـ "لعه وطرده من حضرته". تلي ذلك سلسلة من المغامرات المروية بلغة رمزية، تُظهر أن يسوع قد استكمل ما تلقاه من تعاليم في "الكابالا" اليهودية باكتساب إضافي للحكمة السرية المصرية. وعندما توقف الاضطهاد، عادا كلاهما إلى اليهودية. (ه. ب. بلافاتسكي، "إيزيس مكشوفة النقاب"، المجلد الثاني، ص 200-201).

في المقال الثاني من سلسلتها المكونة من ثلاث مقالات بعنوان "الطابع الباطني للأناجيل"، تقول بلافاتسكي:

تتم الإشارة هنا إلى التقليد الحاخامي الوارد في الجمارا البابلية¹⁰، في نص يُدعى "سفر تولدوت"¹¹ والذي يذكر أن يسوع كان ابن رجل يُدعى "بانديرا"¹²، وأنه عاش قبل الحقبة التي تُعرف بالحقبة المسيحية بقرن من الزمان؛ وتحديدًا في عهد الملك اليهودي ألكسندر ياناي¹³ وزوجته سالومي، اللذين حكما في الفترة ما بين عامي 106 و79 قبل الميلاد. وقد اتهمه اليهود بتعلم فنون السحر في مصر، وبسرقة "الاسم

¹⁰ The Babylonian Gemara.

¹¹ Sepher Toldos.

¹² Pandira.

¹³ Alexander Jannaeus.

الذي لا يُنطق به" من "قدس الأقداس"، فقام "السnehدرين"¹⁴ (المجلس الأعلى لليهود) في مدينة "لود" بإعدام يهوشوع (يسوع)؛ حيث رُجم ثم صُلب على شجرة عشية عيد الفصح.

في هذا السياق، يمكننا بالتأكيد ملاحظة بعض أوجه التشابه الأساسية بين الروايات اليهودية والمسيحية لاضطهاد يسوع وموته، بالإضافة إلى الإشارات إلى "السنوات المفقودة" التي تذكر الأناجيل نفسها - دون أي تفاصيل - أن يسوع الشاب كان، ولو لفترة وجيزة، في مصر. لا تدعي هـ. ب. بلافاتسكي أن تأكيدات هذا التقليد دقيقة بالضرورة من جميع النواحي، ولكن عندما أبلغت بأن بعض الباحثين يعتبرون القول بأن يسوع أو المعلم الروحي الذي بُني عليه يسوع الأناجيل عاش "قرناً قبل" ما هو شائع خطأ، ردت بالتأكيد على:

أقول إن العلماء إما يكذبون أو يتحدثون بهراء. فمعلمينا يؤكدون هذه الرواية. وإذا كانت قصة «يهوشوع» أو «يسوع بن بانديرا» زائفة، فإن التلمود برمته، والمدونة اليهودية بأكملها، تكون زائفة أيضاً. لقد كان هذا الشخص تلميذاً ليهوشوع بن بيراحيا¹⁵، الرئيس الخامس للسnehدرين بعد عزرا¹⁶ (الذي أعاد كتابة الكتاب المقدس). ونظراً لتورطه في ثورة الفريسيين ضد ياناي عام 105 ق.م، فرَّ يهوشوع بن فراحيا إلى مصر، مصطحباً معه يسوع وهو لا يزال شاباً.

¹⁴ Sanhedrin.

¹⁵ ehoshua Ben Perahiah.

¹⁶ Ezra.

وهذه الرواية أكثر صدقاً بكثير من تلك الواردة في العهد الجديد، الذي لا يوجد له أي أثر في السجلات التاريخية. (من كتاب: «التيوصوفيا: بعض الرؤى النادرة»، ص 47).

لاحظ أنها لا تقول "هذه الرواية هي الحقيقة"، بل تقول إن هذه الرواية أكثر صدقاً بكثير من الرواية الواردة في الأناجيل حول يسوع وحياته.